الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الصيف

ليس فصل الصيف — عادة — فصل الأدب والفن، أقصد فن الإنتاج والإخراج، وقد يكون موعد الخلق والإبداع، وموسم تجمع الرؤى والصور، إذ أن هذا الفصل بالنسبة للأدباء والكتاب والمفكرين فصل استجمام وراحة واستجلاء للحياة في مناطق البحر والجبل، على سواحل مصر أو غيرها من البلاد

ولذلك كان موسم الأدب بطيئا، بحيث يمكن القول أنه لا موسم، حتى المطابع التي تنتج الآثار الأدبية، تشغل اليوم بكتب المدارس وتعد منها ما يكفي للعام الجديد الذي أصبح وشيك الظهور

وقلما تحمل الصحف في باب « محاضرات اليوم » هذه الأيام شيئا ذا قيمة أو أهمية يكون من شأنه أن يوجه الأدب أو يؤرخه، فما زال بيننا وبين الموسم الجديد وقت غير قصير

وما تزال حركة الانقلاب الجديدة، بعيدة الأثر في الصحافة والأدب، فقد انطلقت أقلام الكتاب والشعراء والقصصيين، وتحررت، وأخذت تعبر عن مشاعر الأمة، بالوضع الجديد، وتصور فرصتها بإنهاء عهد مظلم طال أمده

غير أن هذا اللون الجديد من الأدب ما زال قاصراً على صورة واحدة مكررة، هي تهنئة الجيش، وتصوير طغيان الملك السابق

وحفلت الصحف، وما زالت، بقصص عن الحياة الآثمة التي كان يحياها فاروق، والتي تتمثل في الصور الجنسية والتصرفات المجنونة، والأساليب الخادعة، التي كانت تتكون منها شخصيته

وهي « موجة » عاتية لابد أن تمر بها الصحافة بعد الانقلاب، ولكن الأدب ما زال حتى الآن، لا يجد مكانه في النهضة الجديدة

فلا زلنا نرجو أن ينشأ جيل جديد من كتاب النهضة، جيل فيه إيمان وحرارة وثقة، وفيه جرأة

جيل لم يتلوث بآثام العهد الماضي ولا شروره، تكون له القدرة على أن يحلل على أضواء علم النفس والتاريخ والتطور « بزوغ » ذلك الفجر الجديد. إن فريقا من كتابنا الكبار، قد وضع أساس هذا العهد الجديد، أولئك الذين صوروا آلام الأمة وأثامها، والحجب المظلمة التي كانت تعيش فيها، أولئك الذين طالما ترقبوا مطلع النور الجديد، ورسموا صورة الزعيم المنتظر، فهؤلاء هم الذين أرضعوا النفوس لبان الثورة، وهم من حركتنا بمنزلة روسو وفولتير في الثورة الفرنسية، ولكن مهمة جديدة الآن توشك أن تلزم شباب الكتاب، وهي « إبداع » اللون الجديد الذي يمثل العهد الجديد

عودة الغريب

كان الدكتور زكي أبو شادي صاحب مدرسة جديدة في الشعر، وكانت مجلة « أبولو » من المجلات الفريدة، التي حملت لواء الدعوة إلى المذهب الابتداعي، وقامت بجهد ليس بالقليل، وأبرزت طائفة من الشعراء الشبان الذين لمعوا بعد ذلك في أكثر من مجال من مجالات الأدب والفن والصحافة والإذاعة

ثم بدا للدكتور أبو شادي أن يقيم في الإسكندرية فنقل مطابعه وصحفه إلى هناك، وأخذ يوالي عمله الأدبي هناك، غير أنه أحس أخيرا أن فترة من الحرج تمر به، وقيل إنه وقع في محنة « تقوى الإحسان » ! وإن بعض خصومه الذين حمل عليهم بعنف، حمل على اتجاهاتهم الأدبية، استطاعوا في ظرف ما أن يضايقوه ويزعجوه، وأحس أنه لا سبيل مع ذلك إلى البقاء في مصر، وكانت طريقته في معاملة مريديه وأتباعه تقوم على أساس من الأخوة والوفاء والتضحية مما كان له أثره في حالته المالية

وأخيرا استقر رأي الدكتور أبو شادي على السفر إلى أمريكا؛ ولكنه فوجئ قبل أن يركب « الباخرة » بوفاة زوجته، فكانت نكبة أخرى ضاعفت متاعبه وآلامه

وقد نشرت « الرسالة » إذ ذاك هذه القصيدة العصماء التي ضمنها الدكتور ديوانه « نحو السماء » الذي طبعه في أمريكا ووزعه

فى العام الماضى

وسافر الدكتور أبو شادى إلى أمريكا واستقر فى «نيويورك» واستقبل هناك استقبالا حافلا ، وكان موضع تقدير البيئات الأدبية هناك

ومضت سنوات ...

وأحس « أبو شادى » بالحنين إلى مصر ، الحنين الجارف ، وكانت لهب هذا الحنين تتبدى فى قصائده وكتاباته ، وبدأ يتصل بمصر مرة أخرى ، وأحس أحباؤه وأصدقاؤه هنا بأنه يجب أن يعود

وكتبت مجلة « الأهداف » التى تصدرها السيدة جميلة العلايلى ، وكتب صاحب هذه السطور فى « الزمان » ، فى هذا المعنى ، وقد وجهت خطابا إلى الدكتور طه حسين وكان إذ ذاك وزير المعارف ؛ وتحدثت معه فى هذا الشأن فى مقابلة خاصة ...

ويبدو أن الدكتور زكى أبو شادى علم هذا ، فأرسل إلى بعض خاصته يقول إنه لا يريد العودة إلى مصر ، وإن مكانه فى نيويورك لا يدانيه أى مكان يمكن أن يصل إليه فى القاهرة

غير أننا كنا نعرف سلفا ، أن الدكتور أبو شادى ثائر على الأوضاع فى مصر ، وأنه ساخط على كل شئ

أما الآن — وقد أثيرت مسألة إعادته من جديد — فنعتقد أنه سيكون غاية فى الرضا بالأوبة إلى وطنه بعد أن تحرر ، وأخذ يستقبل فجرا جديدا

« فى موعد الذكرى »

كان الأسبوع المنقضى ، موعد الذكرى لعرابى ولدوفيج وفرويد .. ومن قبله كان موعد ذكرى السباعى وفيلكس فارس

وقد مرت هذه المناسبات — فى الشرق — وغيرها يمر كل يوم ، دون أن يذكرها ذاكر ، أو تكون موضع اهتمام الدوائر الأدبية وتقديرها

فنحن لا زلنا لا نحتفل إلا بطائفة قليلة من الأسماء التى لمعت فى غفلة من الزمن ، والتى فرضتها مناورات السياسة ، أو مجاملات التملق !

كنا نحتفل بسعد وفؤاد وإسماعيل وهؤلاء وغيرهم ، أناس رفعت أسماءهم الصدف ، ولا يدخلون فى عداد الأبطال حين يفصل تاريخهم على وجه صحيح !

أما الرجال الذين جاهدوا حقا ، وحفروا أسماءهم فى ضمير الحياة الوطنية أو الفكرية فى الشرق ، فقد كانوا إلى عهد قريب — قبل وثبة الجيش المباركة — مبعدين عن محيط الحياة ، كان لا يستطيع إنسان أن يذكرهم أو يفصل تاريخهم

كان عمر مكرم وجمال الدين والجبرتى ، وأحمد عرابى ، وحسن البنا ، من الأسماء البغيضة إلى الجهات التى تتحكم فى كتابة التاريخ ، وكانت أوامر فى صورة نصائح توجه إلى بعض الصحف بأن لا تنشر عنهم شيئا

وكان محمد فريد ومصطفى كامل ، لا يلقيان مايلق سعد زغلول أو غيره ، من الحفاوة والتكريم والتقدير !

ولا يزال محمد فريد حتى الآن ، لا يجد من مصر ما هو جدير به من تكريم بعد أن ضحى أغلى تضحية بذلها زعيم فى سبيل بلاده !

وإننا لنرجو — وقد خلعنا ذلك الثوب القديم المهلهل ، وجردنا الأدب والفكر والفن منه — أن نستقبل « موعد الذكرى » لأبطالنا والرجال الذين جاهدوا فينا على وجه كريم يليق بذكراهم وكفاحهم ، وعلينا على الأقل أن نقيم تمثالا لأمثال عرابى ومحمد فريد وجمال الدين وحسن البنا

والحق أنه ما من جريدة أو مجلة أوربية تفتحها عفوا ، فى أى موعد من مواعيد الذكرى ، لبطل أو كاتب أو موسيقى أو فنان ، إلا وتجدها حافلة بآثار هذا البطل أو الكاتب ، على صورة محددة ، مشوقة

ذكرياته الصغيرة ، أحاديثه العامة ، فكاهاته ، قصاصاته ، خطاباته الغرامية ، كل شئ ، حتى تلك الأشياء الصغيرة التى لا يعيرها الناس التفاتا

والأديب فى هذا الميدان لا يقل عن الزعيم ، كلاهما بطل ، كلاهما جاهد وأدى واجبه ، وبذل عصارة دمه وأعصابه وأفكاره فى سبيل وطنه ، فى سبيل الحق والحرية والجمال

لماذا — كما يقول الأستاذ توفيق الحكيم — لا نضع لوحة تذكارية صغيرة على المنزل رقم ٢٣٢ ونكتب عليها ، هنا كان يسكن « المازنى »